

هذه الأصوات الحاقدة ينبغي أن تصمت

المصور: 76-5-12

بقلم: صبرى أبو المجد

صحفى أجنبى يقيم فى مصر منذ سنوات عديدة يتكلم اللغة العربية واللغة الدارجة كما نتكلمها نحن أبناء هذا الشعب له مع كثير من المصريين صلات ود صداقة عميقة ووثيقة ، معروف لدى جماهير قرائه العديدين بالحرص الشديد على التزام الصدق والأمانة والدقة وبعد النظر فى كل ما يخطه يراعه : أدخلنى هذا الصديق معه فى حوار ساخن : شاق ومضن استغرق ساعات وساعات فى يوم من أيام هذا الأسبوع حلقنا فى ذلك الحوار حول كثير من المسائل المصرية والعربية والدولية .

بدأ الحوار بملاحظة هامة أبدأها عن احتفالات 15 مايو التى أقيمت هذا العام قائلاً : إنها تميزت عن غيرها من الاحتفالات التى أقيمت فى الأعوام الماضية - وقد أحسست هكذا قال الصحفى الصديق بالحرف الواحد من خلال لقائى ببعض المواطنين المصريين وهم من مختلف طوائف الشعب أن لاحتفالات 15 مايو هذا العام مذاقاً خاصاً ..

وأيدته تماماً فى ملاحظته تلك إذ كانت هى محصلة ما خرجت به من مشاركتى كصحفى فى بعض احتفالات 15 مايو هذا العام وما خرجت به فى نفس الوقت من المناقشات التى أجريتها فى بعض الندوات التى كان لى شرف المساهمة فيها هذا الأسبوع وكانت حول 15 مايو لقد كانت الاحتفالات التى أقامتها المؤسسات الدستورية والتنظيمات السياسية والهيئات الأخرى بتلك المناسبة التاريخية فرصة طيبة لإظهار تمسك الشعب بقيادته السياسية وثقته المطلقة فيها تلك الثقة وليدة الحب والتقدير والأمل التى أصبحت اليوم المحور الرئيسى للعمل السياسى الوطنى فى مصر .

وكان من مميزات الاحتفالات بأعياد 15 مايو - هذا العام - ان تنظيماتنا السياسية الجديدة قد شاركت فى هذه الاحتفالات لأول مرة فى تاريخنا على نحو يؤكد نجاح التجربة الديمقراطية التى هى رائدة بالنسبة للعالم الثالث .

وكان من مميزات الاحتفالات بأعياد 15 مايو - هذا العام أيضاً - أن الكثير من محافظاتنا أبت إلا أن تكون الاحتفالات على نحو جديد ، رائع فلم تكثف تلك المحافظات بإقامة الحفلات والندوات والاجتماعات السياسية ، وإنما حرصت على افتتاح عشرات من المشروعات التى تستهدف تنمية هذه المجتمعات التى قامت ثورة التصحيح من أجلها تصحيحاً لمسار ثورة 23 يوليو وطريقاً لنصر أكتوبر المجيد ، وإنطلاقاً لعهد الديمقراطية والحريات .

وقد لاحظت كما لاحظ غيرى بطبيعة الحال أن مشاعر الجماهير العادية - كل الجماهير - كانت وهى تحتفل بذكرى 15 مايو وما تحقق من إنجازات كبرى لم تكن لتتحقق بدونها كانت مليئة بالرضا التام عما تحقق رغم الصعوبات التى تعترضنا من تحولات جذرية فى بنية المجتمع المصرى ومن إنتصارات رائعة ورائدة فى كافة المجالات السياسية والإقتصادية والاجتماعية كما كانت تلك الجماهير ممثلة قلوبها بالثقة الكاملة فى قيادتها السياسية وفى الأمل القريب المشرق الذى تنتظره تلك الجماهير التى صنعت ذلك النصر الخطير فى 15 مايو 1971 .

إننا لم نكن بقادرين على أن نحتفل فى عامى 1971 ، 1972 بيوم 15 مايو كما يجب ذلك لأن الظروف التى كنا نمر بها فى هذين العامين كانت سيئة للغاية ، كان مجتمعنا يعانى حالة من التمزق الداخلى لا مثيل لها فى أية فترة سابقة من فترات تاريخنا ، كان شعبنا يعانى من أثر النكبة التى ألمت بنا فى 5 يونيو حزيران 1967 وكان فى نفس الوقت الذى نعانى فيه من تلك الأثار الخائفة القاتلة يتعرض لحملات شرسة ضارية فى الداخل والخارج كنا لا نزال نبنى ، ولم نكن بعد قد جنينا ثمار ما بنيناه وكانت ذبول مراكز القوى القديمة لا تزال تتآمر ضد المجتمع المصرى فى بعض قطاعاته ، وكنا فى نفس الوقت الذى نحطم فيه ما تبقى من مراكز القوى كنا - شعباً وقيادة - نحارب أيضاً حرباً ضارية حتى لا تقوم مراكز قوى جديدة وعندما تحقق النصر فى عام 1973 كانت مؤسساتنا الدستورية لا تزال فى طور البناء والتكوين والديمقراطية فى بدايتها وكانت معارك البناء والتعمير تأخذ كل إهتمامات الشعب ولم تكن تلك المعارك قد أثمرت بعد وكل الذى أستطيع أن أقوله فعلاً ، وبضمير مستريح للغاية إننا فى هذا العام قد بدأنا مرحلة من أخطر مراحل تطورنا وإننا فى هذا العام نواجه كل الظروف التى

تمر بنا أكثر ثقة من أى يوم مضى وذلك كله مما يجعل خصومنا وأعداءنا يضاعفون من حملاتهم علينا .

ويزورنى صحفى أرجنتينى يهودى اسمه جاك ترويكو ستيزدريك ، ألف كثيراً من الكتب عن الصهيونية والعنصرية ووقف مواقف كثيرة الى جانب العرب ويطول الحوار بينى وبينه ويقول لى : أن نجاحكم فى تعرية الصهيونية العالمية العدوانية يعتبر فى رأى من أهم النجاحات السياسية والدولية التى تحققت فى السنوات الأخيرة ، أن الصهيونية العالمية كانت تخضى دائماً مثل هذه الحرب التى واجهتموها بها ، لقد عمدت سنوات وسنوات الى كسب قطاعات كبيرة من الرأى العام العالمى عن طريق إثبات أن العرب لا يريدون السلام وإنهم لا يستهدفون إلا الفاء اليهود فى البحر وإنهم دعاة تفرقه عنصرية ودينية وإنهم وخلال السنوات الأخيرة ومن خلال زيارتى لبلدان عديدة ومن خلال إتصالاتى بكثير من قادة شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ومن خلال معرفتى التامة بإتجاهات الرأى العام فى أمريكا اللاتينية بصفة عامة والأرجنتين بصفة خاصة أستطيع أن أوكد أن سياسة الرئيس السادات قد نجحت الى أبعد حدود النجاح فى كشف الصهيونية العالمية كسياسة عدوانية كما نجحت إيما نجاح فى جعل الرأى العام العالمى أو قطاعات كبيرة منه تتخلى عن إسرائيل وعن الصهيونية العالمية وتميل الى الأخذ بوجهة النظر العربية القائمة على الحق والعدل وهذا ما يؤكد لى سر الهجمات الصعبة الشرسة التى توجه اليكم من كثير من أولئك الذين يخدمون الصهيونية العالمية والإستعمار بصورة ظاهرة أو مستترة .

ويقول الصحفى الأرجنتينى : خلال أيام قليلة قضيتها بين شعبكم تأكد لى تماماً إنكم تفرقون تماماً بين اليهودية كدين سماوى وبين الصهيونية كسياسة عدوانية ، كما تأكد لى أن طريق البناء الذى تسيرون فيه لبناء الوطن وبناء المواطن وأن ممارستكم للديمقراطية على ذلك النحو الرائع ، إنما يعتبر ذلك كله ثروة إنسانية ضخمة ينبغى أن تستفيد منها شعوب العالم الثالث ومن رأى أنه كلما نجحتم فى ممارستكم للديمقراطية وإنه كلما نجحتم فى بناء الوطن والمواطن تضاعف عدد خصومكم وإشتدت حملات أعدائكم عليكم ، لقد تأكد لى من خلال دراساتى لحركات الشعوب ومن خلال قراءاتى الكثيرة ومن خلال تجاربى العديدة فى النضال القومى أنه لا شئ يفلق الإستعمار ويفقده

صوابه أكثر من نجاح أى شعب من الشعوب النامية فى بناء ذاته وأنه على قد ما يحققه ذلك الشعب من نجاح على قدر ما يتعرض له من حملات وما يدبر ضده من مؤامرات وأغرق ساعات وساعات فى قراءة بعض الصحف المعادية التى تصدر فى بعض البلدان العربية والتى تنتشر بكل أسف باللغة العربية فأجد هبوطاً لا حد له فيما يتعلق بالحملات التى توجه ضد مصر وإذا كنت قد عملت فى الحقل الصحفى ما يزيد على ربع قرن من الزمان وإذا كنت من أولئك الذين داوموا على قراءة الصحف العربية طوال تلك الفترة الطويلة كقارئ وكصحفى فأنى لا أعدو الحقيقة اذا ما قلت أن بعض الصحف التى تصدر فى بعض البلدان العربية باللغة العربية قد وصلت فى هجومها على مصر الى أخط درك يمكن أن تتخطى إليه أية صحافة فى العالم ، بل أننى قد درست ، وأنا أؤرخ لبعض الصحفيين العرب وغير الصحفيين العرب الكثير من الكتب التى ألفت عن صحف الإثارة وعن الصحف الصفراء وعن الصحف التى كانت تسمى معامل الأكاذيب والترهات والتى كانت تحظى دائماً بتحقيق الشعوب التى تنتمى إليها تلك الصحف فلم أجد فى كل ما قرأت ودرست صحافة أكثر كذباً وإفتراءً مثل بعض الصحف التى تصدر اليوم فى بعض البلدان العربية .

لقد كنا نتوقع مثلاً أن بعض الصحف التى تصدر فى لبنان - ولا أقول أبداً الصحف اللبنانية لأنه ليس كل ما يصدر فى لبنان يمكن أن ينسب إلى لبنان - كنا نتوقع أن تلك الصحف تحترم مشاعر الشعب اللبنانى الذى يعانى أقسى وأعنف مأساة مرت به فى حياته فلا يلجأ إلى تلك الأساليب غير النظيفة ولا نقول أكثر من ذلك وهى تلك الأساليب التى ساهمت فى خلق تلك المأساة التى يمر بها شعب لبنان ، كنا نتوقع أن تلك الصحف رعاية منها للذوق العام ، ورعاية منها لمصالح الشعب اللبنانى ورعاية منها لظروف الحرب الدائرة فى لبنان بين الأخ وأخيه تقف كل جهودها على محاولة إيقاف النزيف الذى يؤثر فى حاضر لبنان وفى مستقبله ، كنا نتوقع ذلك وأكثر من ذلك من تلك الصحف التى أقامت العمارات ، وإشترت أفخم المطابع من عمليات الإبتزاز التى لم تكن لتتحقق إلا فى لبنان ولكنها تأبى إلا أن تترك تلك الحرب الضارية وتأبى إلا أن تتجاوز كل الظروف المؤلمة والمحنة التى يمر بها الشعب اللبنانى لتفرغ كل ما لديها - وهو كثير جداً - من أحقاد ضد شعب مصر حتى كأنما أصبح شعب مصر كأنما هو

أعدى أعدائها وحتى كإنما الحملات على شعب مصر ، هي المورد الوحيد لكل ما ينالونه من ثروات طائلة وعندما كنا نتوقع ذلك من أولئك القوم كنا نرفض بإستمرار الرد على أكاذيبهم وترهاتهم آمليين إنهم سيفيقون يوماً ما الى ضمائرهم : إن كانت لديهم بقايا من ضمائر ولكن تأكد لنا - وبكل أسف - أن توقعاتنا كانت في غير محلها وأن هؤلاء القوم لا يملكون من أمرهم شيئاً ، وإنهم في أى ظرف من الظروف ليسوا إلا مجرد أدوات صماء عمياء بكماء تؤمر فتنفذ ما تؤمر به يطلب منها أن تهاجم مصر فتهاجمها بكل شراسة وشراسة ثم يطلب منها لسبب أو لآخر - أن تتوقف عن الهجوم فتتوقف وبسرعة عن الهجوم لا تملك أن تسأل : لماذا تهاجم ؟ ولا تملك أن تسأل : لماذا تتوقف عن الهجوم تلك هي حقيقة الوريقات الصفراء التي تصدر في بيروت والتي يمولها بمئات الالوف - ولا نقول الملايين - الأخ العقيد معمر القذافي الذي تركبه في هذه الأيام حمى الهجوم على مصر ، والذي يبذل كل ما يملك من جهود مضنية من أجل تحقيق هدفه الشخصي وهو الإساءة إلى جمهورية مصر العربية : قرأت مثلاً في تلك الصحيفة القذافية التي لم يكن صاحبها يعرف الأخ العقيد القذافي وكان واسطته للتعرف عليه الرائد بشير هوادى - أعاد الله عليه نعمة الحرية وأنقذه من سجن القذافي سليماً معافى - وتوقفت تلك الصحيفة فترة من الوقت بعد إعتقال بشير هوادى لأنها كما قالت وجدت نفسها في أزمة ضمير ، ثم عاودت الصدور بعد أن ضمنت إستمرار المد القذافي وبعد إن إستولت على كميات كبيرة من أموال الشعب الليبي كان الأخوة اللبنانيون المشردون أحق بها وأولى وراحت تهاجم مصر بمقادير معينة : فإن كل الكيل طافحاً بالمال كان الهجوم عنيفاً وأن كان الكيل بسيطاً كان الهجوم قليلاً قليلاً ، قرأت في تلك المجلة الصفراء التي لا أشرفها بذكر إسمها مقالاً ، طويلاً عريضاً عن العلاقات المصرية الصينية ملأته بكل ما يملك صاحبها من قدرة على إستخدام أكثر الكلمات بذاءة وصاحبها للعلم كان أفقر من هاجم الراحل العظيم جمال عبد الناصر في حياته - هاجمت مصر وسياسة مصر وصحافة مصر وكان نصيبى من الهجوم بضعة أسطر لأننى تحدثت عن موقف الصين منا في عام 1967 كما هاجمت في نفس الوقت الصين ولم تترك في مصر شيئاً الا وكان له من هجومها نصيب : المضحك - وشر الأمور ما يضحك - أن تلك الصحيفة قد هاجمتنا لأننا قلنا بأن هناك علاقات قديمة تربط بين

الصين ومصر ولأننا قلنا بأن للصين حضارة قديمة من اثارها سور الصين العظيم والغريب أن تلك الصحيفة إذ تتهمنا بإننا وقعنا فريسة للسياسة الأمريكية ، تتهمنا في نفس الوقت بإننا وقعنا فريسة للسياسة الصينية والمضحك المبكى في نفس الوقت أن تلك الصحيفة في موضوع آخر تهاجم القيادة الفلسطينية والثورة الفلسطينية كما تهاجم في نفس الوقت الدعوة الى اللقاء العربى والأخاء العربى وكل دعوة لتصفية الخلاف بين بعض الإخوة العرب والغريب والمريب أيضاً إنها تقول هذا الكلام في عددها الصادر في 4 مايو 1976 وأن ما تقوله تردده وتكاد تكون العبارات واحدة - صحيفة جيروساليم بوست الإسرائيلية في عددها الصادر في 7 مايو 1976 أيضاً .

والمضحك والمبكى والمؤسف في آن واحد أن تلك الصحيفة في نفس العدد الصادر في 76/5/4 تهاجم القضاء المصرى لأنه برأ أحد المتهمين في إحدى قضايا الكسب غير المشروع وكأنه مطلوب من القضاء المصرى لكى يرضى الأخ العقيد ولكى يرضى صحيفته التى تعرف بصاحبها عن طريق الرجل الذى أودعه السجن مطلوب من القضاء المصرى أن يقضى ودون محاكمة بأدانة كل الذين يقدمون الى القضاء أبرياء كانوا أم مدنيين وتأبى تلك الصحيفة ألا أن تحمل لواء الدفاع في نفس الوقت عن أحد صحفينا الذين ينشرون بعض السلاسل فى صحف بيرون مؤكدة أنه سيحاكم فى مصر والذى نريد أن نقوله لتلك لاصحيفة حول تلك النقطة الأخيرة أننا نعيش فى ظل سيادة القانون وخير لها أن تسأل ولى نعمتها سؤالاً واحداً : أهناك فى بلده أى ظل للقانون : نتحدى تلك الصحيفة القذافية أن تنشر عدد أسماء الضباط الأحرار الذين إعتقلوا عقب إنتفاضة أغسطس 1975 تلك الإنتفاضة التى توقفت على أثرها تلك الصحيفة عندما توهمت أن المدد لن يأتيها من لبيباء إننا مساهمة منا فى تيسير مهمة تلك الصحيفة قد نشرنا فى برواز مستقل فى هذا المقال أسماء بعض الضباط الأحرار الذين زج بهم معمر القذافى فى السجن ومن بينهم بشير هوادى ومختار القروى وصاحب تلك الصحيفة يعرف جيداً من يكون بشير هوادى ومن يكون مختار القروى ان الصحيفة القذافية إياها التى ضربت الرقم القياسى فى الكذب والتضليل والتبجح اليوم وتعلن إنها تصدر عن مؤسسة جمال عبد الناصر بالرغم من كل ما قاله صاحبها عندما كان يحرر فى صحيفة النداء وفى غيرها من الصحف التى تصدر فى لبنان عن عبد الناصر

يرحمه الله وما قاله فيه لم يقل مثله في البذاءة أى كاتب في الشرق أو في الغرب أقول
أن تلك الصحيفة ومن على شاكلتها يجب أن تختفى عن الأنظار : أن شعبنا العربي -
وشعبنا العربي في مصر في المقدمة - يحتقر من أعماق قلبه كل تلك الصحف الصفراء
يحتقرها ويزدرئها ويرى إنها تشكل سبة وعاراً في تاريخ الصحافة العربية بل في
تاريخ الصحافة كلها .

أن تلك الأقلام التي تسود تلك الصفحات التي تقطر حقداً على مصر والمصريين يجب
أن تصمت الى الأبد فلقد إنكشفت تماماً أن جماهير شعبنا قادرة على إسكات تلك الأقلام
ولكن تلك الجماهير لا تعطى أدنى أهمية لمن باعوا أنفسهم للشيطان أننا نبني ونبني
تاركين تلك الأصوات المنكرة تعوى وتعوى ولا من يستجيب لها هنا أو هناك .